

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

من روائع الأنبا غريغوريوس

(٢)

متى يجوز للمسيحى أن يبغض ؟

للمتنيح

الأنبا غريغوريوس

أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

الكتاب : متى يجوز للمسيحى أن يبغض؟

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية.

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس - دير الأنبا رويس بالعباسيه مصر. ت ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢

المطبعة : شركة الطباعة المصرية العبور ت ٦١٠٠٥٨٩

الجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الايداع بدار الكتب: ٢٠٠٣/ ١٥٣١٦

مقدمة

لنيافة الحبر جزيل الاحترام المتنيح الأنبا غريغوريوس كثير جداً من العظات والمحاضرات فى شتى الموضوعات والمناسبات المختلفة، مسجلة على شرائط كاسيت، وفى أثناء إعدادنا لبعض أعداد من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وجدنا بعض الموضوعات المكملة للموسوعة، لم يتطرق نيافته لها بالكتابة، ولكنه تحدث عنها فى موضوعات وعظات مسجلة على كاسيت، فرأينا تفريغها وضمها إلى الموسوعة.

أما الموضوعات والعظات الأخرى، رأينا أن ننشرها كنبذات مفردة، كسلسلة جديدة من كتابات نيافته تحت عنوان «من روائع الأنبا غريغوريوس» لتخدم كل قطاعات الشعب القبطى، وتكون فى متناول كل الأيدى، وتصلح للتوزيع فى الحفلات والمناسبات لخدمة مدارس التربية الكنسية والأسر الجامعية.

أرجو أن يصلك هذا الكتيب عزيزى القارىء، فتستفيد به فى أقل زمن ممكن، وفى أى وقت من الأوقات، كوجبة سريعة دسمة تحمل لك كما كبيراً من المعلومات فى مختلف الموضوعات، والله وحده قادر أن يوفقنا ويبارك فى هذا العمل لمجد اسمه القدوس بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث.

الإكليريكى منير عطيه

متى يجوز للمسيحى أن يبغض؟(١)

بسم الله القوى الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

الإنجيل المقدس بحسب ما كتبه القديس لوقا البشير الفصل الرابع عشر ومن العدد الخامس والعشرين بركاته على جميعنا آمين.

«وكان جموع كثيرة سائرين معه، فالتفت وقال لهم، إن كان أحد يأتى إليّ ولا يبغض أباه، وأمه وامرأته وأولاده وأخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً. ومن لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً، ومن منكم وهو يريد أن يبنى برجاً لا يجلس أولاً ويحسب النفقة هل عنده ما يلزم لكماله، لئلا يضع الأساس ولا يقدر أن يكمل. فيبتدئ جميع الناظرين يهزأون به، قائلين هذا الإنسان ابتدأ يبنى ولم يقدر أن يكمل». والمجد لله دائماً.

---

(١) دمج عظتين الأولى صباح الأحد الموافق ٢٥ من نوفمبر ١٩٨٤م الموافق ١٦ هاتور ١٧٠١ ش والثانية صباح الأحد الموافق ٢٤ من نوفمبر ١٩٨٥م - ١٥ هاتور ١٧٠٢ش بكنيسة العذراء والأنبا بيشوى بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية.

اليوم السادس عشر من شهر هاتور، وفيه يبدأ صوم الميلاد، وسمى صوم الميلاد لأنه ينتهى بعيد الميلاد أو عيد التجسد الإلهى، وهذا الصوم كقاعدة عامة ثلاثة وأربعون يوماً إبتداء من اليوم إلى اليوم التاسع والعشرين من كيهك، أربعون يوماً ابتداء من بدء عمل الكنيسة، كما أن موسى النبى صام أربعين يوماً قبل أن يتلقى كلمة الله على لوحين من حجر، رأت الكنيسة كذلك أن تصوم مدة الأربعين يوماً استقبالاً لظهور المسيح كلمة الله. أما الثلاثة الأيام المضافة على الأربعين يوماً، فهذه أضيفت فى القرن العاشر للميلاد تسجيلاً للمعجزة العظيمة التى صنعها الله، لإنقاذ الشعب القبطى الذى تعرض للإبادة فى أيام الخليفة المعز الفاطمى، الذى أوعز إليه وزيره يعقوب بن كلس الذي كان يهودياً فى الأصل ثم اعتنق الإسلام، أوعز إلى الخليفة قائلاً أن هناك آية فى إنجيل النصارى المسيح قال لهم: «إن كان لكم إيمان مثل حبة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل فينتقل»، فإن كان دينهم صحيحاً فليثبتوا لنا صحة هذه الآية وإلا فيكون دينهم باطلاً، وكان هذا الكلام لا سند له فى

الواقع، فيكون هذا الدين افتراءً وكذباً وكفراً، ووجدت هذه المشورة استحساناً عند الخليفة الفاطمى، لأنه رأى أنها إذا صدقت ونقلوا هذا الجبل كان ذلك خيراً لمدينة القاهرة أن تتسع، وإذا لم ينجحوا فمعنى ذلك أنهم فشلوا وأن دينهم باطلاً فإبادتهم واجبة بإعدامهم وقتلهم لأنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا صحة ما قاله المسيح لهم، وبذلك نتخلص من الأقباط وتتسع البلاد لنا، فاستدعى الخليفة الفاطمى البابا أنبا ابرآم الثانى والستون من بطاركة الكرسى المرقسى، وكان الكرسى المرقسى قد انتقل من الأسكندرية إلى القاهرة بعد أن أصبحت القاهرة هى العاصمة، سأل الخليفة المعز الفاطمى البابا ابرآم أحقاً جاء فى إنجيلكم قول المسيح «إن كان لكم إيمان مثل حبة الخردل لكنتم تقولون للجبل انتقل فينتقل» قال: نعم، قال له: هل تستطيع أن تثبت صحة هذا القول. فقال له البابا: ماذا يريد الخليفة؟ قال له: هذا هو الجبل المحيط بمدينة القاهرة، فعليكم أن تنقلوه كما قال المسيح لكم - لم يكن سمى هذا الجبل بعد بالمقطم، لأنه سمى بالمقطم بعد أن تقطم بالمعجزة - فتحير البطريرك فى الأمر

وقال: وما الداعى يا مولانا لهذا الأمر، قال له: هذا امتحان لحقيقة دينكم فإذا كان صحيحاً اثبتوا لنا صحة هذه الآية، وإلا كنتم كاذبون منافقون ودينكم باطل، ويصير الخلاص منكم وإبادتكم أفضل.

رأى البابا البطريرك أن الأزمة شديدة، وأن الخليفة مصر على ذلك، فكان على البابا أن يأخذ هذا التحدى لدين المسيح، وما كان له أبداً أن يرفض هذا التحدى، فقال للخليفة: «أمهلنى ثلاثة أيام». فقال له «لك هذه المهلة» وكان المقر البطريركى فى ذلك الوقت فى كنيسة السيدة العذراء المعلقة بمصر القديمة، اعتزل البابا فى كنيسة المعلقة بعد أن أعلن صوماً لمدة ثلاثة أيام واستمر يبكى بدموع لأنها أزمة لم يسبق مثلها فى التاريخ، واشترك معه فى الصوم والصلوات كل من علم من الآباء الكهنة والشعب بهذه المشكلة، وفى فجر اليوم الثالث ظهرت العذراء مريم مطلة من أيقونتها ـ ومازالت هذه الأيقونة موجودة فى الكنيسة المعلقة ـ وقالت للبابا البطريرك: «أبشر أيها البطريرك

القديس فإن صلاتك قبلت وامض إلى الخليفة وتمم ما طلب منك، وأنت خارج ستجد رجلاً حامل جرة ماء، خذه معك فإنه قديس يعاونك بصلواته».

خرج البابا البطريرك فوجد هذا الرجل الذى يحمل جرة، وكان هو سمعان الدباغ، وسمعان الدباغ هذا كان أصلاً إسكافى (جزمجى) وترك مهنة الإسكافية وغير مهنته وامتهن مهنة الدباغة وذلك لأنه كان رجلاً طاهراً يحافظ على عفافه وطهارته، وكان عندما يطلب منه أحد الرجال أن يعمل له حذاء كان يقيس له رجله بيده كى يكون الحذاء حسب المقاس، لكن بالنسبة للمرأة فحرصاً منه على طهارته وأن لا يمس رجلها، فوضع كوم من الرمل وعندما تريد إمرأة أن تصنع حذاء يقول لها ضعى رجلك فى كوم الرمل فترسم لوحدها تلقائياً مقاس الرجل على الرمل وتحدد المقاس المطلوب، وعرف اتجاه هذا الرجل، ولكن هناك بعض الشباب الأشرار أرادوا أن يعاكسوا هذا الرجل ويضايقوه فسلطوا عليه إمرأة ساقطة شريرة لتضايقه، فجاءت هذه المرأة وطلبت منه أن يعمل لها حذاء، فقال لها:

ضعى رجلك فى الرمل، فقالت: لأ.. قس لى رجلى ليكون المقاس مضبوط، فقال لها: كل النساء بيعملوا كده، فأصرت على أن يقيس لها رجلها، وبإلحاح كبير وطرق مختلفة وطبعاً إمرأة من هذا القبيل لها وسائلها فى الضغط والإلحاح، فالرجل من كثرة الإلحاح أراد أن ينتهى من هذه المشكلة فمسك رجلها من تحت لكى يقيس رجلها، فإذ بها رفعت ملابسها فأحس الرجل أنه عثر فأمسك بالمخراز وقلع عينه ظناً منه أنه بهذا ينفذ كلام السيد المسيح «إن أعثرتك عينك فاقلعها والقها عنك» فطبعاً لأنه رجل بسيط لا يوجد عنده ثقافة علمية أو لاهوتية أو دينية تسمح له أن يفهم ما هو القصد من كلام السيد المسيح، وفهم الموضوع بالطريقة الحرفية، ونحن من الناحية الدينية لا نقر هذا، ونعتبر أن هذا تفسير خاطئ منه، لكنه كان رجل قديس لا لأن تفسيره كان صحيحاً ولكن لمدى استعداده لأن ينفذ ويعمل ما يقتنع به ولو أدى ذلك إلى قلع عينه، والكنيسة تمنع منعاً باتاً أى شخص يؤذى جسده أو يقطع جسمه، ولذلك فإن أوريجينوس عندما خصى نفسه وقع عليه حكم كنسى، فالخطيئة ليست فى العين

ولكنها فى القلب وإلا كان معنى ذلك أن كل العميان بلا خطيئة، لا أحد يستطيع أن يقول ذلك، ممكن أن يكون الشخص أعمى والخطيئة فى القلب، فسمعان الخراز يعتبر من القديسين لا من جهة الفهم الصحيح لتعاليم السيد المسيح ولكن من أجل بساطته واستعداده لأن يقلع عينه فهذا يدل على رغبة قوية حقيقية صادقة أن لا يعطل خلاصه أى شئ، ولذلك ترك سمعان هذه المهنة وعمل دباغ للجلود، هذا هو الرجل الذى قالت السيدة العذراء عنه للبابا ابرآم أن يصحبه أو يكون معه ليسانده فى صلواته لأنه رجل مقبول أمام الله. وقال البابا ابرآم لسمعان الدباغ ما قالته السيدة العذراء، فتمنع فى بادئ الأمر، ولكن عندما أشعره البابا أن هذه المسألة فيها خلاص للأقباط جميعاً فقبل.

ذهب البابا البطريرك فى الصباح الباكر إلى الخليفة وأعلمه بأنهم على استعداد لتنفيذ ما طلبه الخليفة، والخليفة لم يتوقع نجاح البطريرك والأقباط فى ذلك، لأنه لم يحدث فى التاريخ

أن جبل ينتقل بصلوات أشخاص من مكان إلى مكان، فاستعد الخليفة بالجيش الذى أحاط بالبطريرك والأقباط من كل جانب حتى ينقضوا عليهم ويقتلوهم ويبيدوهم فى حالة فشلهم.

وكان مع البابا البطريرك ما أمكن أن يصحبهم من الإكليروس والشعب ومعهم سمعان الدباغ، وأخذوا يصلوا ويقوموا بعمل ميطانيات ويطلبوا الرحمة فحدث استجابة للصلاة، فتزلزل الجبل، ويروى التاريخ أن الجبل انتقل بزلزلة عظيمة من بقعة اسمها تل الكبش إلى الفسطاط، والفسطاط حالياً منطقة مصر القديمة، وهى مكان الخيمة التى نصبها عمرو بن العاص بجوار حصن بابليون بجوار المتحف القبطى، وشيئاً فشيئاً امتد المكان وأصبح مدينة الفسطاط، انتقل الجبل الذى نسميه جبل المقطم لأنه تقطم، لأنه تبين من الطبقات الجيولوجية التى فوق الجبل غير الطبقات التى تحت الجبل مما يدل على أن الجبل فعلاً قد انتقل.. انتقل بزلزلة عظيمة انهلع لها قلب الخليفة وسقط هو وجنوده مغشيا عليهم، وفى أثناء اهتزاز الجبل ظهرت الشمس من تحت الجبل، ويقال أن سمعان الدباغ اختفى فى

المنطقة التى يسموها المغاورى الآن، لأنها مغارة، فقد يكون دخل مغارة واختفى. . المهم نشكر الله من أجل هذه المعجزة التى أنقذ الله بها الأقباط من هذه التجربة وهذا الهلاك وهذا التدمير، حقاً السيد المسيح قال ذلك لكن لم يحدث فى التاريخ أن نقل جبل،.. وقد تأثر جداً الخليفة بهذه الحادثة وكان يذهب للبطريرك ليلاً عن طريق سرداب يصل ما بين مقر الخلافة ومقر البطريركية وكان يسأل البطريرك أسئلة، ويوجد مخطوط موجود إلى اليوم مدون به الأسئلة التى وجهها الخليفة للبطريرك وإجابات البطريرك عليها. طبعاً يسأله عن لاهوت المسيح وعن التثليث والتوحيد وعن التجسد وكل القضايا اللاهوتية فى المسيحية، وأخيراً طلب العماد واعتمد فى معمودية معروفة الآن اسمها معمودية السلطان فى كنيسة أبى سيفين فى مصر القديمة، وبعد ذلك خرج من مصر وذهب إلى بلاد المغرب.

وتسجيلاً لهذه الواقعة الضرورية الحيوية بالنسبة للأقباط التى كانت تعتبر لهم وجود أو لا وجود رسمت الكنيسة أن

يضاف إلى صوم الميلاد هذه الثلاثة أيام وذلك ابتداءاً من القرن العاشر للميلاد حتى لا ينسى شعبنا عمل الله، ولا ينسوا المعجزة التى صنعها الرب وأنقذ بها الأقباط من الهلاك ومن الدمار.

وبالمناسبة أرجو إنشاء الله أن لا يتمطل أحد عن الصوم ابتداء من غداً تحت أى حجة، لأن الصوم لا يتعارض أبداً مع صحة الإنسان، بالعكس الصوم هو الأفضل لصحة الإنسان لأن الحياة النباتية هى الحياة الأولى للإنسان، والتى لو عاشها الإنسان يكون أكثر صحة فى البدن وأكثر صحة فى الذهن والعقل، أرجو أن لا يعتقد أحد أن الصوم يعوق أولادنا الصغار فى المدارس فى المذاكرة، بالعكس الصوم يفيده، هناك بعض الناس يعيشوا نباتيين طول حياتهم لا من أجل الدين ولكن من أجل الصحة حتى من قبل المسيحية، فالإنسان لو عاش نباتياً يكون أفضل جداً من الناحية الصحية والذهنية، ولا تهاجمه الشيخوخة العقلية التى تهاجم الذين يأكلون اللحوم.

الإنجيل مأخوذ من الإصحاح الرابع عشر من إنجيل معلمنا لوقا ابتداء من العدد الخامس والعشرين، السيد المسيح يقول «من

يأتى إلىّ ولا يبغض أباه وأمه وزوجته وأبناءه وأخوته وأخواته بل نفسه أيضاً لا يستطيع أن يكون لى تلميذاً».

كيف المسيح الذى علمنا المحبة، وقال «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضكم لبعض» كيف يتكلم هنا عن البغضة بل ويشترطها إشتراطاً. طبعاً فى الأحوال العادية كمبدأ عام لا.. للبغضة، إنما فى بعض الأحوال التى يقف فيها الإنسان أمام إمتحان قاسى حينما يكون على الإنسان أن يفاضل أو يختار بين أمرين، حينما تتعارض محبتنا لهؤلاء الأقرباء مع محبتنا للمسيح، عندما يختار الإنسان بين محبته لأسرته أو لنفسه، أو يختار محبته لله. عندما يقف الإنسان أمام اختيارين متعارضين تظهر هناك أمانة هذا الإنسان للمسيح، يحدث هذا الكلام على الخصوص فى ظروف الإضطهاد، حينما يكون فى موقف المسيح يرضى عنه بينما أبوه يرفض هذا الموقف، وأمه ترفضه وأبناؤه وبناته يرفضوه وأخوته وأخواته يرفضوه، حتى نفسه، وكلمة نفسه بمعنى الضعف الذى فى داخل الإنسان،

رغبته في الراحة ورغبته في أن يعيش في سلام وفي هدوء، كيف يأتي الإنسان إلى الموقف الذي فيه يفاضل وعليه أن يختار بين طريقين، إما هذا الطريق وإما ذاك، ليس في كل الأحيان يحدث ذلك، ولكن في بعض الأحيان، بالضبط مثل المواقف الإيمانية التي فيها يمتحن الإيمان، حينما يتبع شخص المسيح ويؤمن به، في الوقت الذي يجد كل أهله يكونون ضده، أبوه وأمه وأخوته وأخواته، وهذا ما حدث بالنسبة للشهداء، وكلنا نعرف بعض الآباء وبعض البنات وبعض الصبيان تعرضوا لهذا الإمتحان القاسي. أنه آمن بالمسيح وتبعه ولكن أهله ضده، قد ينصحوه، وفي بعض الأحيان يهددوه بالقتل والموت، مثل ما حدث مع الست بربارة كيف أن والدها أراد هو نفسه أن يقتلها وكان يجري وراءها لولا أنها انقذت بطريقة معجزية، وهكذا حياة كثير من الرجال وكثير من النساء مثل الست دميانة تعرضوا لهذه المواقف الصعبة، التي فيها الأهل يكونوا في مبدأ الأمر كنوع من أنواع الإشفاق على ابنهم أو ابنتهم أو نوع من أنواع المحبة له، وأحياناً تصل المسألة إلى نوع من التهديد،

يعتبروا أنه من العار أن مثل هذا الإنسان مثلاً يترك دينه ليتبع دين آخر، فتصل بهم الدرجة أنهم يريدوا قتله أو يشتكوا ابنهم للحاكم لكي يقتله، كان يحدث ذلك في ظروف الاضطهاد أن الأب أو الأم والأهل والأقرباء بنوع من أنواع الشفقة من جهة أو بنوع من أنواع كرامة العائلة، لا يقبلون أن ابنهم أو ابنتهم تتبع المسيح وأنها تموت أو تستشهد لأجله، هنا يحدث هذا التعارض في هذه الحالة، هذه هي المواقف التي يضعنا المسيح فيها أمام خيارين إما أن يتبع الإنسان ما يقوله أبوه وأمه وأخوته وأخواته سواء كان بالنصح أو التهديد، أو يتعرض للقتل، هنا السيد المسيح يجيب على هذا السؤال ويحل هذا الموقف عندما يقول: «إن كان أحد لا يبغض... ، وهنا البغضة ليست بمعنى الكراهية العاطفية، لكن هنا بمعنى أن الشخص يبغض طريق الأم وطريق الأب الذى يريد أن يثنيه عن إيمانه واستمساكه بهذا الموقف، ولذلك يقول إن كان أحد لا يبغض .. حتى نفسه، بمعنى لما نفسه في سبيل الراحة أو في سبيل النجاة من التعذيب والآلام تخور أو تنثنى عن الإيمان، هنا لابد أن يبغض حتى نفسه لكي يثبت في الإيمان ويتمسك به.

شئ طبيعى أن كل نفس لا ترحب بالتعذيب والآلام، حتى سيدنا له المجد عبر عن هذا إنسانياً حينما قال فى بستان جثسيمانى «إن أمكن أن تعبر عنى هذه الكأس»، وهذا تعبيراً عما إذا كان أحد آخر فى نفس الموقف لابد أن يميل إلى أن ينجو من هذا العذاب المخوف والمؤلم لأنه سيكون هناك آلام جسدية كثيرة جداً يشقى بها، وعندما نقرأ عن أدوات التعذيب التى استخدمت بالنسبة للشهداء. منها مثلاً أنهم يعلقوا الشخص فى فرعين من شجرتين قريبتين من بعض بعد تنزيل الفرع إلى أسفل، وبعد ما يربطوا الشخص يتركوا الفرعين فيرتدوا مرة أخرى إلى فوق حيث وضعهم الطبيعى، فينفجر الشخص أو ينقسم وينقطع قسمين، أو يضعوه على سرير من الحديد ويضغطوا عليه لكى يدخل الحديد فى جسمه، أو يضعوه فى الهمبازين، والهمبازين عبارة عن دولابين مثل الرحاية دولاب من فوق ودولاب من تحت ويتحركوا عكس بعض وفى الدولابين سكاكين، والشخص يوضع بين الدولابين ويتحركوا والسكاكين تقطع فى جسمه وجسده يتمزق، الواحد يمكن عندما

تدخل شوكة فى يده يتألم من الشوكة، فما بالك عندما يوضع الجسم كله بين الهمبازين والسكاكين تقطع فيه، انظر مدى الآلام التى يتحملها الإنسان، وأحياناً يقطعوا له يديه قطعة قطعة، عندنا قديس اسمه القديس المقطع لأنهم أخذوا يقطعوا جسمه قطعة قطعة اليدين صابع صابع ثم قطعة قطعة وكذلك الرجلين.. كل ذلك حتى يلين ويرجع عن إيمانه، كل جسمه تقطع حتى الموت. وأحياناً يجروه مثل القديس مارمرقس ويسموها السحل، يربطوه فى حصان ويجر على الحجارة فى الشوارع فيرتطم جسده ويسيل دمه وتتقطع أعضاءه. كل هذه عمليات تعذيب كانوا يتفننون فيها، طبعاً يوجد البعض يضعف ويخاف ويلين ويرجع، إنما كثير من الأشخاص قبلوا هذا الوضع بسهولة، هناك من وقف مواقف القوة مثل مارجرجس، استمر سبع سنين فى هذه العذابات ولهذا تجلى له السيد المسيح فى السجن وقال له فى إحدى المرات «لم يقم من بين المولودين من النساء من هو أعظم من يوحنا المعمدان، ولم يقم بين الشهداء من هو أعظم منك» لذلك لقب مارجرجس «أمير

الشهداء، هذا اللقب لم يأخذه من الكنيسة ولا من الناس وإنما أخذه من المسيح نفسه، المسيح هو الذى أعطاه هذا اللقب لأنه أكثر واحد تعذب، لا يوجد من الشهداء من تعذب سبع سنين متواصلة مثل مارجرجس، كل هذه العذابات، لو كان الإنسان حديد أو نحاس أو حجر كيف يتحمل كل ذلك، كيف يتحمل كل هذا، كيف تتحمل الطبيعة البشرية كل ذلك، الإنسان من أقل شئ يخاف، زكريا الكاهن بمجرد ما ظهر له الملاك، يقول الكتاب أن زكريا خاف فقال له الملاك «لا تخف» خاف من ظهور ملاك، لذلك المسألة ليست سهلة ولكنها صعبة جداً جداً لذلك السيد المسيح يقول «إن كان أحد لا يبغض أباه وأمه وأبناؤه وزوجته وأخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً لا يستطيع أن يكون لى تلميذاً» لأن هناك مواقف كثيرة يجب أن يرفض تدخل الأب والأم وتدخل الإخوة أو الزوجة، يرفض توسلاتهم من جهة ويرفض تهديداتهم من جهة أخرى وإلا يخور ويلين وينتهى ويفقد خلاصه، هذه هى البغضة عندما يقف أبوه وأمه أو أى إنسان آخر ضده فى تبعيته للسيد المسيح وفى تبعيته لمبادئ الإنجيل.

أما فى الأحوال الطبيعية الأخرى فالإنسان مطالب أن يحب أباه وأمه وأخوته وأخواته، فالوصية تطلب منا إكرام الوالدين «أكرم أباك وأمك لكي تطول أيام حياتك على الأرض»، ومحبة الأخوة هذه واجبة، إذا كانت محبة الأعداء مطلوبة وواجبة والسيد المسيح يقول «أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، فشريعتنا شريعة المحبة، إذن كيف يتكلم السيد المسيح هنا عن البغضة، هنا البغضة فى موقف معين، فالله لم يطلب منا أن نحب الشيطان، بالعكس يطلب منا «قاوموا إبليس» وعندما قال أحبوا أعداءكم، يقصد الأعداء الجسديين من أجل أكل أو شرب أو لبس أو واحد شتمك أو واحد أهانك، هؤلاء هم الأعداء، إنما الأعداء الروحيين لا نستطيع أن نحبهم بل يجب أن نبغضهم وذلك ليس لأشخاصهم، ولكن للخطيئة المتمثلة فيهم، وكراهيتهم ومقاومتهم للخير، فعندما يقف الأب والأم موقف الشيطان ليعوقوا الإنسان ويعطلوه عن الحصول على خلاصه أو عن عدم الثبات على إيمانه، هنا تحدث البغضة، وليس الأب والأم والأخوة

والأخوات فقط، ولكن حتى نفس الإنسان لو أعاقته بسبب الخوف أو بسبب التردد أو بسبب الرخاوة ومحبة الراحة، فلابد للإنسان أن يكون ضدها أى يبغضها، بمعنى أنه لابد أن تكون محبته لله أزيد من محبته لنفسه، وكذلك تزيد عن محبته لأبيه وأمه وأخوته وأخواته، إذاً فى المواقف المتأزمة التى يوجد فيها اختيار ينبغى فى سبيل محبة الإنسان للمسيح أن يبغض أباه وأمه وأخوته وأخواته.. لأن محبة المسيح تقتضى ذلك، والبغضة هنا ليس معناها الكراهية التى من القلب، ولكن معناها أن الإنسان لا يجمع بين محبتين بدرجة واحدة، بين محبته للمسيح أو للمبادئ والقيم الروحية، وبين المحبة الحسية الجسدية، ففى المواقف الحاسمة الدقيقة عليه أن يختار، فهنا المسيح يضعنا أمام هذا الموقف كدليل وكبرهان على صدق محبتنا له، كمثل ما حدث لأبونا ابراهيم عندما قال له قدم ابنك حبيبك وحيدك الذى تحبه محرقة، فرق بين الذبيحة والمحرقة، الذبيحة تذبح بالسكين والمحرقة تحرق بالنار وإبراهيم أخذ السكين وأخذ النار

لكى يحرق ابنه بعد الذبح، هذا امتحان أراد الله به أن يمتحن إبراهيم، ونجح إبراهيم فى الامتحان وكان مستعد ما دام الله طلب ذلك، لا مانع عنده أن ينفذ، قام باكراً وأخذ الحطب وقدم ابنه، وفى اللحظة المناسبة سمع صوت الله ارفع يدك، لأن مسرة الله ليست فى أن تقدم له ذبائح بشرية، إنما أراد الله أن يقدم إبراهيم كمثل ونموذج يرينا إلى أى درجة بلغت محبة إبراهيم لله أنه يقدم ابن الموعد ابنه وحيده الذى يحبه ذبيحة محرقة لأن الله طلب منه ذلك، طبعاً هذا موقف غير عادى ولا يتكرر إلا نادراً فى حياة الإنسان، ليكون إبراهيمْ مثل ونموذج للمحبة الإلهية التى تفوق محبته لإبنه وحيده الذى يحبه، وأصبحت محبة إبراهيم لله محبة متميزة ومحبة فائقة وأنه لا يوجد محبة أخرى تفوقها، وأصبحت وسيلة إيضاح مناسبة للأجيال كلها، كل من يقرأ هذه القصة ويسمعها يجد محبة إبراهيم تفوق محبته لأعز إنسان عنده وهو ابنه.

إذا كانت محبتنا للمسيح هى الأولى والأعظم، فيكون الإنسان فى هذه الحالة مضطر لأن يخالف ويقف ضد أى

إنسان وضد نفسه أيضاً فى سبيل تبعيته للسيد المسيح وهذا له أجره الكبير أمام الله، لأن الله يكافئ هذا الإنسان مكافأة كبيرة، ولذلك ربنا قال لأبونا ابراهيم: حيث أنك لم تمنع ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق عنى فإنى بالبركة أباركك وبالكثرة أكثر نسلك كنجوم السماء وكالرمل على شاطئ البحر، فالله كافأه، لم ينس الله له أنه آثر محبة الله أكثر من محبته لأعز الناس إليه. ونحن أيضاً لنا المكافأة فيقول السيد المسيح «من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى» وأيضاً «من يأتى إلىّ ولا يبغض أباه وأمه وزوجته وأبناءه وأخوته وأخواته بل نفسه أيضا لا يستطيع أن يكون لى تلميذاً».

وأيضاً المسيح لم يقل أن الإنسان يبغض نفسه فى الأحوال العادية، بل أوصى «أن تحب قريبك كنفسك» فلم يقل أن الإنسان يكره نفسه، إذن فمحبة الإنسان لنفسه محبة معترف بها، الإنسان الذى يكره نفسه هو الإنسان المنتحر وهذه خطيئة، إنما إذا كانت نفسك تحضك على مخالفة الله فهنا فى هذه الحالة

تبغضها، ليس معنى تبغضها تقتلها لا.. ، إنما تكون ضدها، وتقاومها، بمعنى أنه لو إنسان عنده شهوات أو عادات رديئة ويشعر أن هذه تضحية كبيرة أن يتخلى عن هذه الشهوات والنزوات من أجل محبته لله، ويفعل فبذلك يكون قد أتم الوصية «إن كان أحد لا يبغض ...حتى نفسه...»، وقد يكون للإنسان مكانة ومنصب ويضحى بهذه المكانة وهذا المنصب من أجل المسيح، لاشك أن نفس الإنسان تكون غير راضية بتركها هذا المنصب وهذه المكانة ولكنه يقف أمامها ويقاومها ويبغضها وقد يقبل الاستشهاد عن محبته لهذا المنصب مثل ما حدث مع القديس مارمينا الذى أبغض نفسه وخلع المنطقة وطرحها أمام الحاكم ليبرهن على أنه مستعد أن يستغنى عن هذه الجندية لأنه جندى ليسوع المسيح.

كلام السيد المسيح عن البغضة ليس فى الأحوال العادية، وليس كمبدأ عام أن يبغض الناس، بالعكس فى الأحوال العادية نقدر أن نجمع بين محبتنا لله ومحبتنا للناس بل بالعكس محبتنا

لله تدعونا أن نحب الناس، ولكن فى الأحوال الغير عادية عندما تكون الحاجة وضدها على خط مستقيم فلا يمكن أن يجمع الإنسان بين الإثنين، ففى الوقت الذى فيه تتعارض علاقة الآخرين بنا مع علاقتنــا بالله يجب أن يضحى وأن يقطع علاقته بهذا الإنســان حتى لو كان أبــوه أو أمــه أو أخــوه أو أختــه أو .. إلخ.

إذا كان هذا الكلام ينطبق على الشخص الذى آمن بالمسيح إزاء الأشخاص الآخرين من عائلته غير المسيحية إذا عاقوه عن الإيمان بالمسيح، فماذا نقول عن واحد من عائلة مسيحية وليست وثنية أو من أى دين آخر، عندما تكون العائلة كلها مسيحية واختار هذا الإنسان طريق الرهبنة أو البتولية (عدم الزواج)، وتقف الأسرة كلها أو بعض أفرادها ضده، فكثيراً ما يحدث أن فتاة ترغب فى التبتل وأمها لا تقبل هذا الكلام وتقوم بعمل تصرفات متعبة وغير معقولة، وتقول لابد أن تزوجها غصباً عنها، وتقف ضد إبنتها لو أرادت هذه الإبنة أن تسير فى طريق الرهبنة.

فى أحد أديرة البنات، الرئيسة تقول أب أحضر سكينة وذهب إلى الدير ليقتل إبنته ويقتل الرئيسة والراهبات لماذا؟ لأن إبنته ترهبت فى هذا الدير ، هل هذه هى الرجولة، حضرته مسيحى وأخذ سكينة ليذبح إبنته والراهبات.

أنا رأيت منظر فى أحد أديرة الرجال، رجل ضابط أنا غير متذكر فى حرب ٦٧ أو ٧٣ الضابط فى أثناء الحرب نظر حوله فرأى كل الذين حوله ماتوا، الذين على يمينه وعلى شماله وأمامه وخلفه، ورأى أنه نجى بطريقة معجزية، كان يمكن أن يموت كالباقين، ففكر أنه لابد أن يعيش الجزء الباقى من حياته فى الدير، لأن هذا الجزء ليس ملكه، هذا فضل ربنا عليه الذى نجاه، وفعلاً ذهب للدير ليترهب وتصادف أن أكون هناك فى ذلك الوقت، وجاء أخوه فى ثورة غضب شديدة، كيف أخوه الضابط الذى يأخذ مرتب كذا يترهبن وكان يريد أن يضرب الرهبان، والأم والأب فى حالة غضب شديد، هل هؤلاء مسيحيون؟ هذا الضابط يريد أن يترهبن، فيكون العائق الأب

والأم والأخ.. صورة سيئة جداً، وكأن هذا الضابط سيعمل جريمة برهبنته، وهذا المنظر يتكرر كثيراً فى أديرتنا، وبالمثل عندما يكون ابن ناجح فى الثانوية العامة وحاصل على ٨٠ أو ٩٠ فى المائة، ويريد أن يدخل الإكليريكية، انظروا الحرب التى تنشأ فى المنزل انظروا ماذا يصنع الأب؟ وماذا تفعل الأم؟ أنا أعرف حالات معينة، الأب يطرد ابنه من المنزل، ونحن فى الإكليريكية تبدينا هذا الإبن لأن أبوه طرده. كيف يدخل الإكليريكية، والأب مسيحى والأم مسيحية والأب متدين، ويصلى.. ولكن الغضب لماذا؟ لأنه لازم يدخل الهندسة أو التجارة أو الطب حسب درجاته، مادام درجاته عالية لماذا يدخل الإكليريكية؟ يدخل الإكليريكية عندما يكون ابنه (خيبان)ولم يحصل على مجموع، يكون ذلك طبيعى أنه يدخل الإكليريكية، وفى هذه الحالة احتمال يسعوا لدخوله بمعرفة أو واسطة لعله يقبل، إنما إذا كان الإبن نابغة وحصل على درجات عالية وتقدير كبير مرتفع يكون خسارة، لازم يدخل طب أو

هندسة. هل هذا تفكير مسيحى؟ إذا وقف هذا الشاب أمام هذه الأزمة ماذا يصنع، هو مقتنع ويحس بهذه الدعوة الإلهية فى قلبه، ربنا يريده، هناك دعوة وهو يشعر بهذه الدعوة وموافق عليها، وأبوه رافض وأمه رافضة، هنا كلام المسيح «إن كان أحد لا يبغض أباه وأمه وأخوته وأخواته وزوجته وأبناءه حتى نفسه من أجلى لا يستطيع أن يكون لى تلميذاً» إياك أن تضعف أو تلين أو تكون رخو، الله يريد أتباعه أن يكونوا صامدين، أن يكونوا محتملين، أن يكونوا صابرين، الله لا يريد هذا الطراز الذى يضعف أمام الصعوبات أو أمام اعتراضات من الأهل، ينبغى للإنسان الأمين فى هذا الموقف أن يرفض، مادام هناك حقاً دعوة إلهية يشعر بها هذا الشاب فى باطنه لابد أن يبغض، ولا ينصاع للأهل فى هذا الأمر، لا يترك دعوة الله، ويتحمل فى صبر ومثابرة وإصراراً على الموقف يتحمل الآلام والضغوط و الشتائم والإهانات وتحسب له هذه كلها كأنها استشهاد مثل ما يقول يوحنا ذهبى الفم أن هناك إناس يستشهدون بدون سفك

دم، ليس الذين سفكت دمائهم هم الشهداء فقط، لكن هناك من هم فى سبيل مبادئ الإنجيل من تحملوا متاعب كثيرة، هذه المتاعب والآلام النفسية وإن لم يكن فيها سفك دم لكنها تحسب لهم ويصيرون حقيقة شهداء ولكنهم شهداء بدون سفك دم، هؤلاء يتحملوا مضايقات نفسيه من دون أن تقود إلى الموت، وذلك بأن يفقد منصبه أو يفقد مركزه أو يفقد احترامه أو علاقات الآخرين به، أو يجوع .. إلخ وذلك **فى سبيل مبادئ الإنجيل**، لأن هناك الكثير من يتحمل متاعب ومضايقات نتيجة أخطاء ارتكبوها فى أعمالهم فى مصالحهم الحكومية أو فى الدولة، نحن لا نتكلم عن هؤلاء، الذين يخطئون وعندما يعاقبون يتمسحون فى المسيح ويقولون من أجل المسيح، لأ.. لأنه أخطأ فلابد أن يأخذ عقابه.

ولكن متى تكون هذه المضايقات من أجل المسيح؟ لو أنه كان برئ ولم يخطئ، وحدث نوع من المضايقات له بسبب أنه مسيحى، وتحمل الآلام فى حياته سواء أكانت آلام نفسية أو

جسدية من أجل المسيح أو من أجل مبادئ الإنجيل، فى هذه الحالة يكون شهيد بدون سفك دم. هناك مواقف كثيرة عملية لأبناء الإيمان فى أعمالهم وفى وظائفهم، المحاسب والتاجر والمهندس والطبيب والصيدلى .. كل واحد من العلمانيين فى وظيفته يجد متاعب ومضايقات ومحاولات تثنية عن الإيمان كلية أو عن التمسك بالفضيلة، وأن يكون أمين ويكون نزيه، فمثلاً رئيسه يقول له «لا تكون متزمت» ويطلب منه أشياء ضد الأمانة، وهو يريد أن يكون أمين ودقيق فى عمله، فيجد مضايقات من زملائه ومن الرؤساء، هذا الإنسان إذا احتمل فى سبيل الإيمان وفى سبيل التمسك بالفضيلة فهذا نوع من أنواع الشهادة بدون سفك دم، إذا تمسك بمبادئ الإنجيل ومبادئ الفضيلة وصمد وصبر واحتمل المتاعب والمضايقات، فله أجره عن هذا الصبر وعن هذه الآلام وعن هذا العذاب الذى يتحمله وعن هذه النفقات، كلام السيد المسيح فى الإنجيل يقول أن الإنسان لابد أن يحسب حساب النفقة، وضرب مثلاً عن واحد يريد أن يبنى برج فلابد أن يحسب حساب النفقة، حتى لا يقف

في وسط الطريق ولا يكمل البناء فيضحك عليه الناس، التطبيق الروحي لحساب النفقة، في أي موضوع في حياتي العملية، لابد أن أعمل حسابي، قد يأتيني من وراء هذا العمل أو الموقف أو التمسك بهذا الموضوع أو بهذا المبدأ أو بهذه الفضيلة متاعب، هل أنا مستعد أن أدفع الثمن؟ أن أدفع النفقات؟ لأنه إذا لم تستطع أن تكمل البناء إلى النهاية وأن تدفع النفقات كاملة، وضعفت في الطريق ورجعت عن مبادئي سيكون خزيك عظيماً أمام الله وأمام الملائكة وأمام الناس، هذه هي النفقة لأن مواقف القوة لها نفقتها ولها اتلافها من أعصاب الإنسان ومن المضايقات، وحتى من الناحية المادية والضيق الذي يعانيه الإنسان بسبب تمسكه بموقف معين، كل هذا نفقة، لكل هذا ثمن، ثمن لمواقف القوة، أشياء كثيرة تقتضي أن أدفع ثمنها من راحتي، من جسدي، من نقودي، من كل شئ، فإذا أنا عملت حساب النفقة وصمدت وصبرت وتحملت ودفعت هذا الحساب أكون قد أثبت حقاً أنني تلميذ للمسيح، من دون هذا لا أصلح أن أكون تلميذاً للمسيح.

بالمناسبة هناك مجموعة وسط بين الشهداء بسفك الدم والشهداء بدون سفك دم يسموا بالمعترفين، هؤلاء يتحملوا آلامات وعذابات جسدية كثيرة جداً ومتنوعة ولكن الله ينقذهم من الموت ويعيشوا بعد ذلك ثم يموتوا موتة طبيعية، ويسموا بالمعترفين لأنهم اعترفوا بالإيمان ولم ينكروه، ولكنهم لم يموتوا شهداء، من هذا الطراز القديس يوحنا الرسول، ويعد أول المعترفين لأنه فى عهد الإمبراطور دومتيانوس عذب ووضع فى خلقين من الزيت المغلى والقار المغلى، طبعاً هذا يكفى لأن يموت، ولكن الله تدخل وأنقذه لأن لله قصد فى بقاء يوحنا مدة أطول لتدبير الكنيسة، لأنه كان الوحيد الباقى من تلاميذ المسيح، فالمعترفين هم الذين عذبوا ولم يموتوا إنما ماتوا الموت الطبيعى فيما بعد مثل القديس يوحنا الرسول.

الله يعيننا جميعاً ويحافظ عليكم، ويقوينا فى كل عمل صالح، ونعمة الرب يسوع المسيح تشملنا جميعاً وله الإكرام والمجد إلى الأبد آمين.